نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٦٨ — العلم غنى بلا مال

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية :

قال أبو جعفر الطحاوى : كنت عند أحمد بن أبى عمران ، فمر بنا رجل من بنى الدنيا ، فنظرت إليه وشغلت به عما كنت فيه من المذاكرة ، فقال لى : كأنى بك قد فكرت فيما أعطى هذا الرجل من الدنيا .

قلت له : نعم .

قال : هل أدلك على خلة ، هل لك أن يحول الله إليك ماعنده من المال ، ويحول إليه ما عندك من العلم فتعيش أنت غنياً جاهلا ، ويعيش هو عالماً فقيراً .

فقلت : ما أختار أن يحول الله ما عندى من العلم إلى ما عنده ، فالعلم غنى بلا مال ، وعز بلا عشيرة ، وسلطان بلا رجال .

* * *

يقول الفقير إلى الله تعالى والغنىّ عن الناس محمد إسعاف النشاشيبي :

يأمل آملون أن لن يكون بعد حين مترف مسرف يزهى ، ولا بائس فاضل يشكو .

« وقالوا قسمة نزلت بعـــدل

فقلنا ليتـــه جور مشاع »

فقد تتبدل أحوال ، وتؤول أمور خير مآل ، ويصدق قول من قال :

« دوام حال من قضايا المحال

واللطف مرجو على كل حال »

وبالدساتير المستونة — يا أخا العرب — يقف واقفون ، ويمشى القهقرى أو اليقدمية ماشون . إنها الشرائع إنها الدساتير تشق الأنام وتسعد ، فارجوَنّ ولا تيأس من روح الله وعدله وتقدم هذا الإنسان « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » وفى (الكتاب) : « لكل أجل كتاب » .

قال جار الله فى (الكشاف) عند تفسير هذا القول الكريم العظيم :

« الشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات ، فلكل وقت حكم يكتب على العباد أى يفرض عليهم على مايقتضيه استصلاحهم » .

وقال فى موضع آخر من كشافه :

« الله (تعالى) ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح ، وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة . والله (تعالى) عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء ، وينسخ ما يشاء بحكمته » .

٨٦٩ — أثر البيئة

الحيوان للجاحظ : ... لا تنكر أن يفسد الهواء فى ناحية من النواحى فيفسد ماؤهم ، وتفسد تربتهم ، فيعمل ذلك فى طباعهم على الأيام ... وقد رأينا العرب وكانوا أعراباً حين نزلوا خراسان كيف انسلخوا من جميع تلك المعانى . وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الابل والدواب وجميع ماشيتهم من سبع وبهيمة على طبائعهم . وترى جراد البقول والرياحين وديدانها خضراء[٢] وتراها فى غير الخضرة على غير ذلك .. وقد ترى حرة بنى سلَيم وما اشتملت عليه من إنسان وسبع وبهيمة وطائر وحشرة فتراها كلها سـوداء[٢] وقد خبرنا من لا يحصى من الناس أنهم قد

(١) و (٢) نعتوا الاسم المجموع بفعلاء وفعل ، وليس فى كلام المبرد فى الكامل ما يدل على منع النعت بالمفرد — كما ظن فقيد العربية الأستاذ الرافعى ، وحى القلم ج ١ ص ٢٨٣ — وهذا قول الكامل : « ما كان من باب أفعل جمعه على أفاعل ... فإن كان نعتاً جمعه على فعل ... فإن أردت نعتاً محضاً يقع النعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم » وأول من خطأ ناعى الجمع بالمفرد — كما ذكر الأديب اللغوى المشهور الدكتور مصطفى جواد — هو العريانى (المتصرف) فريتس كرنكو الألمانى ، وأول من دل على مظنة القول فى الكامل هو الدكتور جواد . والذى هو فى (الكامل) مثل الذى هو فى (الكتاب) : « وأما أفعل إذا كان صفة فإنه يكسر على فعل ... والمؤنث من هذا يجمع على فعل ... »

أدركوا رجالا من نبط بيسان[1] ولهم أذناب إلا تكن كأذناب التماسيح والأسد والبقر والخيل وإلا كأذناب السلاحف والجرذان فقد كان لهم عجوب[2] طوال الأذناب . وربما رأينا اللاح النبطى على وجهه شبه القرد ، وربما رأينا الرجل من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ[3] إلا القليل . وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسد والماء الخبيث والتربة الردية ناساً فى صفة هؤلاء المغربيين والأنباط ويكرنون جهالا فلا يرحلون ضنانة بمساكنهم وأوطانهم ولا ينتقلون ، فإذا طال ذلك عليهم زاد فى تلك الشعور وفى تلك الأذناب وفى تلك الألوان الشقر وفى تلك الصور المناسبة للقرود .

٨٧٠ — ويبيع قرطيها إذا ما أعدما

تتمة اليتيمة : قد أكثر الشعراء فى الحث على الاضطراب فى الاغتراب لالتماس الرزق وقضاء الوطر من السفر ، ومن أشف ما قالوا فيه وأشفاه قول هذا الاعرابى الشامى (أبى شرحبيل الكندى) :

سر فى بلاد الله والتمس الغنى ودع الجلوس مع العيال تخيما
لا خير فى حر يجالس حرة ويبيع قرطيها إذا ما أعدما

٨٧١ — ما أقل الروم وأكثر المسلمين !

تاريخ الطبرى : شهد اليرموك ألف رجل ، من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيهم نحو من مئة من أهل بدر ، وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس فيقول : الله الله ، إنكم ذادة العرب وأنصار الاسلام ، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم ، أنزل نصرك على عبادك . وقال رجل لخالد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد : ما أقل الروم وأكثر المسلمين ! إن الجنود تكثر بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال[4] .

(١) فى العراق .

(٢) العجوب جمع العجب — بالفتح والضم — أصل الذنب وعظمه ، وهو العصص .

(٣) القاموس : مسخ صورته حوله إلى أخرى أقبح ، ومسخه الله قرداً فهو مسخ ومسيخ ، وفى الأساس : فلان مسخ من المسوخ .

(٤) فى تاريخ الطبرى ... عن أبى أمامة وكان شهد اليرموك هو وعبادة بن الصامت أن النساء قاتلن يوم اليرموك فخرجت جويرية ابنة أبى سفيان فى جولة وكانت مع زوجها بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عين أبى سفيان فأخرج السهم من عينه أبو حنة .

٨٧٢ — نعم ، بلى

نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لأبى البركات الانبارى :

يحكى أن أبا بكر بن الانبارى حضر مع جماعة من العدول ليشهدوا على إقرار رجل ، فقال أحدهم للمشهود عليه :

ألا نشهد عليك ؟

قال : نعم .

فشهد عليه الجماعة وامتنع ابن الانبارى وقال : إن الرجل منع أن يشهد عليه بقوله : نعم[1] ، لأن تقدير جوابه لا تشهدوا على ، لأن حكم نعم أن يرفع الاستفهام ، ولهذا قال ابن عباس فى قوله تعالى : [ألست بربكم قالوا بلى] لو أنهم قالوا : نعم لكفروا لأن حكم نعم أن يرفع الاستفهام ، فلو قالوا : نعم لكان التقدير نعم لست ربنا ، وهذا كفر ، وإنما دل على إيمانهم قولهم : بلى ، لأن معناها يدل على وقع النفى ، فكأنهم قالوا : أنت ربنا ، لأن أنت بمنزلة التاء التى فى لست .

٨٧٣ — مخيريق خير يهود

سيرة النبى لعبد الملك بن هشام :

كان مخيريق أحد بنى ثعلبة بن الفطيون حبراً عالماً ، وكان غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بصفته وما يجده فى علمه ، وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أحد — وكان يوم أحد يوم السبت — قال يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت لكم ، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يصنع فيها ما أراه الله ، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل ، فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما بلغنى يقول : [مخيريق خير يهود] وقبض رسول الله أمواله ، فعامة صدقات رسول الله بالمدينة منها .

(١) فى المغنى : ... ولذلك قال جماعة من الفقهاء لو قال : أليس لى عليك ألف ؟ فقال : بلى لزمته ، ولو قال نعم لم تلزمه . وقال آخرون : يلزمه فيهما وجروا فى ذلك على مقتضى العرف لا اللغة ... بلى لايجاب بها عن الايجاب وذلك متفق عليه . ولكن وقع فى كتب الحديث ما يقتضى أنها يجاب بها الاستفهام المجرد ... وليس لهؤلاء أن يحتجوا بذلك لأنه قليل .